سابعاً
سورة التّغابُن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن
لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ
عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ
وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

بين يَدَيِ التّفسير

(١)

((يُسَبّحُ لِله تعالى الخالق البارئ المصوّر العليم ما في السّماوات وما في الأرض . ومن النّاس مؤمن ، ومنهم كافرٌ اسْتَغْنَى الله تعالى عنه))

الآيات (١-٦)

يُسَبّحُ لله تعالى ويُثْنِي عليه الخير كلّه ما في السّماوات وما في الأرض . له الملك ، فَبَيدِهِ ملكوت كلّ شيء ، وله الحمد ، فهو المحمود من الخلق على كلّ حال . وهو جلّ وعلا على كلّ شيءٍ قدِير . والله تعالى هو الخالق البارئ المصوّر الّذي أحاط بكلّ شيءٍ عِلْما . إنّ الله تعالى هو الّذي خلقكم أيّها النّاس ، فَمِنْ حقِّهِ عزّ وجلّ أن يُفْرَدَ بالعبادة، وأن يكون له الأمر والحكم . وإنّ منكم أيّها النّاس فريقاً كافراً ، ومنكم فريقاً مؤمناً . والله تعالى بما تعملون بصير . فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ ممّا يعمل الكافرون والمؤمنون . والله تعالى خلق السّماوات والأرض بالحقّ والعدل والحكمة ، وصَوَّرَكُمْ أيّها النّاس فَأَحْسَنَ صُوَرَكم وأَشْكالَكُمْ . وإلى الله تعالى المصير والمَرْجِع يوم القيامة . والله تعالى الّذي خلق السّماوات والأرض والنّاس يعلم مافي السّماوات وما في الأرض ، ويعلم ما تُسِرُّون أيّها النّاس وما تُعْلِنُون . والله تعالى عليمٌ بذات الصّدور ، وخفايا القلوب ، وسرائر النّفوس . وأنتم أيّها الكافرون الشّاذّون في هذا الكون فلا تُسَبّحُونَ الله تعالى ولا تسجدون له ، ألم يأتكم نبأ الأقوام الّذين كفروا من قبلكم فذاقوا وبال أمرهم ، وعاقبة كفرهم ، ووخيم تكذيبهم في الدّنيا ، ولهم عذابٌ مؤلمٌ في الآخرة . ذلك الخِزْيُ في الأولى والآخرة بسبب أنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالآيات البيّنات فقالوا على سبيل الاستكبار في أنفسهم

والاحتقار للآخرين : أَبَشَرٌ مِثْلُنا يزعمون أنّهم يَهْدُونَنا سواء السّبيل كَأنّنا ضالّون ! فكفروا بالله تعالى ، وأَعْرَضُوا عن رسله صلوات الله تعالى عليهم، واستغنى الله تعالى عنهم وعن إيمانهم فأَخَذَهُمُ الله تعالى أَخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِر . والله تعالى هو الغنيّ عن الخلق ، المحمود من أوليائه على كلّ حال .

إنّ على كفّار مكّة أن يتّعظوا بما حلّ بالكافرين السّابقين وإلاّ كان المصير مماثلاً في الأولى والآخرة .

وإنّ أهمّ سببٍ حمل الكافرين على الإصرار على الكفر والتّكذيب إنكارهم للبعث بسبب تعطيلهم عقولهم وعدم استعمالها استعمالاً صحيحاً كي يتبيّنوا أنّ الله تعالى الّذي خلق الخلق أوّل مرّة قادرٌ على إعادة الحياة إليه يوم القيامة . وقضيّة البعث تتحدّث فيها السّورة الكريمة بعد ذلك في شيءٍ من التّفصيل ، وتكاد تكون الموضوع الرّئيس في السّورة الكريمة :

(٢)

((آمِنوا أيّها النّاس بالله تعالى ، وبالرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، وبالقرآن الكريم ، واصبروا أيّها المؤمنون على ما أصابكم ، وثواب المؤمنين الجنّة وعذاب الكافرين النّار))

الآيات (٧-١٣)

زَعَمَ الّذين كفروا وادّعَوْا أنّهم لن يُبْعَثُوا بعد الموت . قل لهم يا محمّد : ليس الأمر كما زعمتم. والله تعالى ربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبّؤنّ بما عملتم ولتحاسبنّ. وذلك على الله تعالى

يسير . فآمِنوا ياكفّار مكّة ويا أيّها الكافرون عموماً بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم وبالنّور الّذي أنزلناه وأوحيناه إلى عبدنا وحبيبنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. واللهُ تعالى بما تعملون أيّها النّاس خبيرٌ قد أحاط عِلْماً ببواطن الأمور كما أحاط علماً بظواهرها . اذكروا يوم يجمعكم ليوم الجمع الّذي يَجْمَعُ الله تعالى فيه الأوّلين والآخِرين من لدن آدم عليه السّلام إلى وقت قيام السّاعة . ذلك يوم يَغْبُنُ المؤمنين الكافرين بأخذ منازلهم ومنازل أهليهم في الجنّة وقد كانت مخصّصةً لهم لو آمنوا ولكنّهم كفروا وتبوّءوا أماكنهم من النّار. ومَنْ يؤمن بالله تعالى ويعمل صالحاً يكفّر الله تعالى ويحطّ عنه سيّئاته ، ويدخله جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار خالدين فيها فلا يَخْرُجُونَ منها أبداً . ذلك الفوز العظيم حقّا . والّذين كفروا بالله تعالى وكذّبوا بآياته البيّنات الّتي أوحاها إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم أولئك أصحاب النّار خالدين فيها أبداً.وبئس المصير جهنّم.

وأنتم أيّها المؤمنون ما أصابكم من مصيبةٍ في حياتكم وفي جهادكم في سبيل الله تعالى إلاّ بإذن الله تعالى وبِعِلْمِه . ومن يؤمن بالله تعالى إيماناً صادقاً يَهْدِ قلبه ويوفّقه للتّسليم لأمره ، والرّضا بقضائه ، والإيقان بأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . واللهُ تعالى بكلّ شيءٍ عليم . وأطيعوا الله تعالى وأطيعوا الرّسول محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يا أيّها النّاس طاعةً مطلقة ، فإن أعرضتم وانصرفتم فإنّما على رسولنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم البلاغ المبين . وقد فَعَلَ صلّى الله عليه وسلّم ذلك ، فبلّغ الرّسالة ، وأدّى الأمانة ، وكان لأمّته النّاصح الأمين . وقد فَعَلَ السَّلَفُ الصّالح ما كان ينبغي عليه أن يفعل وقام بواجبه خير قيام. وهكذا كان الجهاد في سبيل الله تعالى باللّسان والسّنان . أمّا الهدف فهو إعلاء كلمة الله تعالى . الله تعالى لا إله إلاّ هو ، فجاهدوا أيّها

المؤمنون في سبيل كلمة الحقّ ودعوة الصّدق . وعلى الله تعالى وحده دون سواه فليتوكّل المؤمنون ، وليستعن المؤمنون بالله تعالى في كلّ أمورهم ، وليتّقوا الله تعالى ، وليقولوا قولاً سديد ، وليعملوا عملاً رشيداً . وحول هذه المعاني دار القسم الأخير من السّورة الكريمة:

(٣)

((اِحذروا أيّها المؤمنون فتنة الأزواج والأولاد والأموال ،
واتّقوا الله تعالى ما استطعتم ، وأَقْرِضُوا الله تعالى
قرضاً حسناً يضاعف لكم الثّواب ويغفر لكم))

الآيات (١٤-١٨)

يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم يثبّطونكم عن الهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى واستباق الخيرات عموماً فاحذروهم واعصوهم وبادروا إلى عمل الصّالحات . وإن تَعْفُوا عنهم بعد تغلّبكم على المُثَبِّطات ، واستباقكم الخيرات وتتركوا مؤاخذتهم ، وتصفحوا عنهم بإقبالكم عليهم بوجوهكم الهاشّة الباشّة ، دليل صفاء القلب ، ونقاء الصّدر ، وتغفروا لهم تثبيطهم لكم بأن تَسْتُرُوه وتقابلوه بالإحسان منكم فإنّ الله سبحانه وتعالى غفورُ يستر الذّنب ، رحيمٌ يقبل التَّوْب .

ما أموالكم ولا أولادكم أيّها النّاس إلاّ فتنةٌ واختبارٌ وابتلاءٌ من الله تعالى ليعلم عزّ وجلّ علم ظهورٍ الّذي يطيعه منكم والّذي يعصيه فيحاسبه ويجازيه . والله تعالى عنده يوم القيامة أجرٌ عظيمٌ للطّائعين . فاتّقوا الله تعالى ما استطعتم أيّها المؤمنون إلى ذلك سبيلا ، واسمعوا سماع قَبُول ، واطيعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة . وأنفقوا في سبيل الله تعالى يكن الإنفاق خيراً لكم يوم القيامة . ومن ويوفّقه الله تعالى فيوق شُحَّ

نَفْسِه ومَنْعَ النّاس حُقُوقَهُمْ ، وبَخْسَهُم أَشْياءَهُمْ ، وأَكْلَ أموالهم بالباطل فأولئك هم المفلحون حقّا . إن تُقْرِضُوا الله تعالى قَرْضاً حسناً وذلك بالإنفاق في سبيله عزّ وجلّ بنفوس راضيةٍ ، وقلوبٍ مطمئنّة ، فإنّ الله تعالى يُضاعِفُ ثواب الإنفاق لكم أضعافاً مضاعفةً ويُغفر لكم ذنوبكم . والله تعالى شكورٌ للمنفقين من المال الّذي أعطاهم عزّ وجلّ إيّاه ، حليمٌ ولا يعاجل بالعقوبة الّذين قصّروا في جنبه جلّ وعلا . هو عالم الغيب والشّهادة ، العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعته وتقديره وتدبيره وفي كلّ شيءٍ سبحانه .

التَّفْسِير

(١)

((يُسَبّح لِلهِ تعالى الخالق البارئ المصوّر العليم ما في السّماوات وما في الأرض . ومِنَ النّاس مؤمن ، ومنهم كافرٌ اسْتَغْنَى الله تعالى عنه))

الآيات (١– ٦)

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١

يُسبّحُ لله ما في السماوات وما في الأرض : يسجد له ما في السّماوات السّبع ومافي الأرض من خلقه ويعظّمه(١) .

وله الحمد : وله حمد كلّ ما فيها من خلق ، لأنّ جميع من في ذلك من الخلق لا يَعْرِفُون الخير إلا منه ، وليس لهم رازقٌ سواه ، فله حمد جميعهم(٢) .

يُسَبِّحُ لله تعالى ويَسْجُدُ له ويُثْنِي عليه الخير كلّه ما في السّماواتِ وما في الأرض. بِيَدِهِ ملكوت كلّ شيء ، المحمود على كلّ حالٍ من جميعَ خَلقه ، لأنّهم لا يعرفون الخير إلا من جهته ، وليس لهم رازقٌ سواه .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٧ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٧ .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ
وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمن : فمنكم كافرٌ بِخالِقِهِ وأنّه خلقه ، ومنكم مصدّقٌ به موقنٌ أنّه خالقه أو بارئه[1] .

بالحقّ : بالعدل والإنصاف[2] والحكمة[3] .

الله تعالى هو الّذي خلقكم أيّها النّاس ، فمنكم كافرٌ بِخالِقِه ، غَيْرُ مُعْتَرِفٍ بأنّه خلقه وأوجده من العَدَم ، ولذلك هو لا يعبده حقّ العبادة ، بل يُشْرِكُ معه في العبادة سواه ، ومنكم مؤمنٌ مصدّقٌ بأنّ الله تعالى هو الّذي خلقه وأنّه يستحقّ أن يُعْبَد وَحْدَه دون سواه ، وأن يُشْكر فلا يُكْفر . والله تعالى بما تعملون أيّها النّاس بصيرٌ فلا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم ، ولا أقوالكم ، ولا نيّاتكم .

والله تعالى الّذي خلقكم أيّها النّاس خلق السّماوات والأرض الّتي يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ جلّ وعلا ما فيهما ، وأوجدهما بالحقّ والحكمة والعدل ، وصوّركم فَأحسن صوركم ، فالإنسان أحسن المخلوقات في الأرض صورةً وشكلاً . وإلى الله تعالى المصير والمرجع

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٨ .
(٣) تفسير ابن كثير ٨/ ١٦١ .

يـوم القيامـة ، للحسـاب والجـزاء ، الثّـواب أو العقـاب ، فـاعملوا أيّهـا النّـاس في دنيـاكم لأُخْراكم . والله تعالى الّذي خلق السّماوات والأرض وما فيهما ومن فيهما يَعْلَمُ ما في السّماوات والأرض ، ويعلم ما تُسِرُّون أيّها النّاس وتُخْفُون ، تُعْلِنُون وتُظْهِرون . والله تعالى عليمٌ بما في الصّدور والنّفوس وأعماق القلوب من خفايا ووساوسَ وأسرار .

أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن
قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ
وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦

فذاقوا وبال أمرهم : وخِيَم تكذيبهم ورَدِيءَ أفعالهم ، وهو ما حلّ بهم في الدّنيا من العقوبة والخِزْي[1] .

بأنّه : الهاء ضمير الشّأن[2] .

ألم يأتكم يا كفّار مكّة الخبر الجليل الخَطَر العظيم الشّأن للّذين كفروامن قبلكم مثل قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ عليهم السّلام ومن إليهم ، فذاقوا في الدّنيا وبال أمرهم ، وعقاب كفرهم ، وضرر شركهم ، وعذاب تكذيبهم رسول الله تعالى إليهم . ولهم في الآخرة عذابٌ شديد الألم ، كبير الأذى .

ذلك الخزي في الدّنيا ، والهوان في الآخرة ، بسبب أنّهم كانت تأتيهم رسل الله تعالى إليهم بالآيات البيّنات ، والمعجزات الباهرات ، فقالوا على جهة الاستكبار في أنفسهم ، والازدراء للآخرين : أَبَشَرٌ مثلنا يهدوننا إلى الصّراط المستقيم كأنّنا ضالّون ، ويزعمون وراء ذلك أنّهم رسلٌ بَعَثَهُمُ الله تعالى إلينا ! لقد كفروا بالله تعالى وبالرّسل الّذين بعثهم الله تعالى إليهم ، وجحدوا آياتهم البيّنات ، وكذّبوا معجزاتهم الباهرات ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ١٦٢ .
(٢) الجلالين .

وأعرضوا عن الهُدَى ، وانصرفوا عن قصد السّبيل . واستغنى الله تعالى عن إيمان القوم الكافرين . والله تعالى هو الغنيّ عن خلقه ، فلا يزيد إيمان الخلق وطاعتهم في ملك الله تعالى شيئاً ، وإنّما ثواب الإيمان والطّاعة عائدٌ إلى الخلق ، والله تعالى هو المحمود من خلقه في كلّ حال ، إن لم يكن بلسان المقال فبلسان الحال .

(٢)

((آمِنُوا أيّها النّاس بالله تعالى ، وبالرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وبالقرآن الكريم ، واصبروا أيّها المؤمنون على ما أصابكم ، وثواب المؤمنين الجنّة ، وعذاب الكافرين النّار))

الآيات (٧-١٣)

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠

زعم الّذين كفروا : الزّعم حكاية قولٍ يكون مَظِنَّةً لِلْكَذِب ، ولهذا جاء في القرآن في كلّ موضع ذُمَّ القائلون به[1] .

أن لن يبعثوا : أن مخفّفة من الثّقيلة واسمها محذوف أي أنّهم[2] .

قل بلى وربّي : بلى حرف جواب لإيجاب المنفيّ[3] .

والنّور الّذي أنزلنا : هو هذا القرآن الّذي أنزله الله على نبيّه محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم[4] .

ذلك يوم التّغابن : يَغْبِنُ المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنّة لو آمنوا[5] .

زعم الّذين كفروا وادّعَوْا أنّهم لن يُبْعثوا يوم القيامة ولن يُحاسَبُوا ويجازَوْا . قل لهم

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "زعم" ١/ ٢٨١ .
(٢) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٨١ .
(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٨١ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٩ .
(٥) الجلالين .

أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم : ليس الأمر كما زعمتم ، أُقْسِمُ بِرَبِّي العظيم لَتُبْعَثُنَّ بعد موتكم ثمّ لتنبّؤنّ بما عملتم ولتحاسَبُنّ ولتعاقبنّ . وكلّ ذلك يسيرٌ على الله تعالى . وهذه هي الآية الثّالثة الّتي أَمَرَ الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يُقْسِمَ بِرَبِّهِ عزّ وجلّ على وقوع المَعادِ وَوُجُودِه . فالأُولَى في سورة يونس[1] : ﴿ويستبئونك أحقّ هو ؟ قل إي وربّي إنّه لحقّ وما أنتم بمعجزين﴾ والثّانية في سورة سبأ[2] : ﴿ وقال الّذين كفروا لا تأتينا السّاعة . قل بلى وربّي لتأتينّكم عالم الغيب لا يَعْزُبُ عنه مِثْقالُ ذرّةٍ في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلاّ في كتابٍ مبين﴾ والثّالثة هي هذه[3] .

فآمنوا أيّها النّاس بالله تعالى وبرسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم وبالقرآن الكريم الّذي أنزلناه ، وهو النّور المبين والصّراط المستقيم . والله تعالى بما تعملون أ يّها النّاس خبيرٌ ، فخذوا حِذْرَكم . اذكروا يوم يَجْمَعُكُم الله تعالى ليوم القيامة الّذي يَجْمَعُ اللهُ تعالى فيه الخلائق أجمعين . ذلك هو يومُ يَغْبِن فيه المؤمنون الكافرين بِأَخْذِ منازلهم ومنازل أهليهم في الجنّة لو آمنوا ، ولكنّهم يَتَبَؤّأون منازلهم في النّار بسبب كفرهم . ومَنْ يُؤْمِنْ بالله تعالى إيماناً صحيحاً ويَعْمَلْ صالحاً يكفّر الله تعالى عنه سيّئاته ويحطَّها ، ويُدْخِلْه جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار ، خالدين فيها أبداً . ذلك الفوز العظيم والنّجاح الكبير حقّا . والّذين كفروا بالله تعالى وكذّبوا بآياته عزّ وجلّ الّتي أوحاها إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم أولئك أصحاب النّار خالدين فيها وبئس المصير هي .

---

(١) الآية ٥٣ .

(٢) الآية ٣

(٣) تفسير ابن كثير ٨/ ١٦٢ .

مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١

ومن يؤمن بالله يهد قلبه : هو الّذي إذا أصابته مصيبةٌ رَضِيَ بها وعَرَفَ أنّها من الله[1] ووفّق الله تعالى قلبه بالتّسليم لأمره والرّضا بقضائه[2] قال ابن عبّاس : المعنى يهدي قلبه لليقين فيعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[2] .

لم يُصِبْ أحداً من مصيبةٍ تسوؤه وتؤلمه في نفسه أو في عزيزٍ عليه من أهل أو صديق ، أو في شيءٍ يَعِزُّ عليه ويكرم إلاّ بإذن الله تعالى وأمره . ومَنْ يُؤْمِنْ بالله تعالى إيماناً راسخاً يهد عزّ وجلّ قلبه لليقين ،ويُوَفِّقْهُ للرِّضا والتّسليم ، ويَجْعَلْهُ يوقن بأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . والله سبحانه وتعالى بكلّ شيءٍ عليم. والإنسان لا يعلم شيئاً ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّا ، فعليه التّسليم والرّضا بقضاء الله تعالى وقَدَرِه .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٦٥٢ .
(٢) انظر تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٩ .
(٣) فتح الباري ٨/ ٦٥٢ وتفسير الطّبري ٢٨/ ٧٩ .

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾

وأطيعوا الله تعالى وأطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم يا أيّها النّاس طاعةً مطلقة، في كلّ ما أُمِرْتم به ونُهِيتُمْ عنه . فإنّ أعرضتم وانصرفتم فاعلموا أنّ رسولنا صلّى الله عليه وسلّم ليس عليه سوى البلاغ المبين . وقد فَعَلَ صلّى الله عليه وسلّم ذلك .

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾

الله لا إله إلاّ هو وَحْدَه لا شريك له ، ولا يستحقّ أن يُعْبَدَ إلاّ الله تعالى وَحْدَه دون سواه . وعلى الله تعالى فليتوكّل المؤمنون في كلّ أمورهم . وفي مقدّمة تلك الأمور الدَّعوَةُ إلى الله تعالى ، كي تكون كلمة الله تعالى هي العليا ، وكي بتناغم الكون كلّه في تسبيح الله تعالى ، والسّجود له ، والثّناء عليه ، وتنزيهه عن كل ما أَلْحَقَهُ الظّالمون به سبحانه .

(٣)

((اِحْذَرُوا أيّها المؤمنون فتنة الأزواج والأولاد والأموال ، واتّقوا الله تعالى ما استطعتم ، وأقْرِضُوا الله تعالى قرضاً حسناً يُضاعِفْ لكم الثّواب ويَغْفِرْ لكم))

الآيات (١٤-١٨)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤

سبب النّزول :

قال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما : كان الرّجل يُسْلِم . فإذا أراد أن يهاجر مَنَعَهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُه ، وقالوا : نَنْشُدُك الله أن تذهب وتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهلٍ ولا مال . فمنهم من يرقّ لهم ويقيم ولا يهاجر . فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] وعن ابن عبّاس . وهؤلاء الّذين مَنَعَهُمْ أهلهم عن الهجرة ، لمّا هاجروا ورأَوُا النّاس قد فَقِهُوا في الدّين هَمّوُا أن يعاقبوا أهليهم الّذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفورٌ رحيم﴾[2] .

وإن تعفوا : العفو : ترك العقوبة[3] .

وتصفحوا : صَفْحُ الشيء عُرْضُه كصفحة الوجه . والصَّفْحُ ترك التّثريب وهو أبلغ من العفو[4] وصَفَحَ عنه : أعرض . وصَفَحَ عن ذنبه : عفا عنه[5] .

---

(١) أسباب النّزول ٥٠٠ وتفسير الطّبري ٢٨/ ٨١ .
(٢) أسباب النّزول ٥٠٠ وتفسير الطّبري ٢٨/ ٨٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني "عفا" ٢/ ٤٤١ ومعجم مقاييس اللّغة : "العفو" ٤/ ٥٦ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صفح" ٢/ ٣٧٠ .
(٥) المعجم الوسيط : "صفح" .

وتغفروا : وتستروا الذّنب[1] والغَفْر : السَّتْر[2] .

يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم بتثبيطكم عن استباق الخيرات فاحذروهم أن يمنعوكم من الهجرة أو الجهاد في سبيل الله تعالى أو عمل الصّالحات عموما . وأنتم إن تتركوا مؤاخذتهم ، وتُقْبِلُوا عليهم بوجوهكم دليل الرّضا عنهم ، وتَسْتُرُوا ذنوبهم وتظهروا لهم الإحسان بَدَلاً ، بعد أن تكونوا قد تجاوزتم عقبة التّثبيط ، فإنّ الله تعالى غفورٌ لكم ولهم ، رحيمٌ بكم وبهم .

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غفر" ٢/ ٤٦٩ .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٤١ وانظر البحر المحيط ٢/ ١٧٠ .

إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ
فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾

فتنة : اختبارٌ وابتلاءٌ من الله لِخَلْقِهِ ، لِيَعْلَمَ من يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيه[1]

إنّما أموالكم وأولادكم اختبارٌ من الله تعالى لكم وابتلاءٌ في الدّنيا يشغلكم عن العمل للآخرة . والله تعالى عنده أجرٌ عظيمٌ في الآخرة هو الجنّة لمن أطاعه عزّ وجلّ وعَصَى كلّ المثبّطات عن استباق الخيرات . وفي مقدّمة المثبّطات المال والبنون . فخذوا حذركم أيّها المؤمنون .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ١٦٥ .

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ
نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضٗا
حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾
عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

فاتّقوا الله ما استطعتم : عن قَتَادة في قوله تعالى[1] : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ﴾ قال : نَسَخَتْها : ﴿ فاتّقوا الله ما استطعتم ﴾ [2]رَوَى البخاريّ في صحيحه[3] عن أبي هريرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : دَعُونِي ما تركتكم ، فإنّما أهلك من كان قبلكم سؤالُهُمْ واخْتِلافُهُمْ على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه . وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم .

وأنفقوا خيراً لأنفسكم : وأنفقوا يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم . خيراً : خبر يكن المقدّر مع اسمه[4]

فاتّقوا الله تعالى أيّها المؤمنون ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً ، فالله تعالى لا يكلّف نفساً إلا وسعها واسمعوا سماع قبول . وأطيعوا لله تعالى وأطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة . وأنفقوا في سبيل الله يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم . ومن يوق بفضل الله تعالى شُحَّ نفسه ، فلا يَبْخَسُ النّاس أشياءهم ، ولا يَغْصِبُهُمْ أموالهم، ولا يمنعهم

---

(١) سورة آل عمران ١٠٢ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٨٢ .
(٣) ٩/ ١١٧ وفتح الباري ١٣/ ٢٥١ حديث رقم ٧٢٨٨ .
(٤) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٨٩ والجلالين وتفسير ابن كثير ٨/ ١٦٧ .

حقوقهم ، فأولئك هم المفلحون الفائزون في الأولى والآخرة .

إن تقرضوا الله تعالى قرضاً حسناً فتنفقوا في سبيله عز وجلّ بنفوسٍ مطمئنّة ، وقلوبٍ راضية ، يضاعف الله تعالى لكم الثّواب أضعافاً مُضاعَفَة ، ويغفرْ لكم ذنوبكم . والله تعالى شكورٌ لعباده الطائعين ،حليمٌ عن عقاب المذنبين المقصِّرين في جنبه عزّ وجلّ.

إنّه هو الله تعالى ، عالم الغيب والشّهادة لا يغيب عن علمه شيءٌ غاب عن الخلق أو شَهدُوه ، العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه سبحانه .

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١- سورة التّغابن من المدنيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد الهجرة[١] .

٢- عدد آيات السّورة الكريمة ثماني عشرة آيةً كريمة[٢] وعدد حروف السّورة الكريمة ألفٌ وسبعون حرفاً[٣] .

٣- سورة التّغابن آخر المُسَبِّحات الخمس[٤] والسّور الأربع الباقيات كما سبق هي الحديد ، والحشر ، والصّفّ ، والجمعة . وكلّها من المدنيّ من القرآن الكريم .

٤- المِحْوَرُ الّذي تدور حوله السّورة الكريمة قضيّة البعث بعد الموت .

٥- سُمِّيَت السّورة الكريمة سورة التّغابن لمجئ هذه اللّفظة في الآية الكريمة التّاسعة . وهذه اللّفظة لم تأت في القرآن الكريم في غير هذا الموضع . والفعل تغابَنَ ليس من التّغابن من اثنين ، بل كتواضع وتحامَل[٥] .

٦- الحديث عن المُصِيبةِ الّتي تُصِيبُ الإنسان بإذن الله تعالى في الآية الكريمة الحادِيَةَ عَشْرَةَ في قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلاّ بإذن الله . ومن يؤمن بالله يهد قلبه . والله بكلّ شيءٍ عليم﴾ يذكّرنا بالحديث في المعنى ذاته في الآية

---

(١) الإتقان ١/ ٤٣ والجلالين وتفسير ابن كثير ٨/ ١٦١ وفي ظلال القرآن ٣٥٨٢ والبحر المحيط ٨/ ٢٧٥ وتفسير القرطبي ٦٦١٠ والمحرّر الوجيز ١٦/ ٢٦ .

(٢) المصحف الشّريف .

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٧٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ١٦١ .

(٥) المحرّر الوجيز ١٦/ ٢٩ .

الكريمة الثّانية والعشرين من سورة الحديد أُولَى السُّوَرِ المُسَبِّحات ، في قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها . إنّ ذلك على الله يسير ﴾ .

٧- القول في الآية الكريمة السّادسة عشرة من السّورة الكريمة : ﴿ ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ هو ذات القول في الآية الكريمة التّاسعة من سورة الحشر إحدى السّور المُسَبِّحات .

٨- حَثُّ السّورة الكريمة في ختامها على الإنفاق في سبيل الله تعالى كبير ، وكذلك تحذيرها من تثبيط الأموال والأولاد والأهل عن الجهاد في سبيل الله تعالى وعن استباق الخيرات عموما .

٩- نودّ أن نبيّن بإيجازٍ وحدة السّورة الكريمة عُضْوِيّاً وأَخْذَ قَضاياها بِرِقاب بعض .

يَسْجُدُ لِلهِ تعالى ويُثْنِي عليه الخير كلّه ما في السّموات وما في الأرض . وفي استعمال : "ما" وهي لِغَيْرِ العاقل إيماءٌ إلى تقصير العاقل المكلَّف ، الّذي نتبيّن في السّورة الكريمة أنّه قَصَّر في جَنْبِ الله تعالى وأنّه بحاجةٍ إلى أن ينضمّ إلى الكون الّذي يسبّح بحمد الله تعالى . والله تعالى له ملك كلّ شيء ، وله الحمد من جميع خلقه على كلّ حال . وهو عزّ وجلّ على كلّ شيءٍ قدير . وتتحدّث السّورة الكريمة عن بعض نِعَمِ الله تعالى المحمود من جميع خلقه والّذي قصّر الإنسان العاقل في حقّ الله تعالى عليه . الله تعالى هو الّذي خَلَقَنا . ومن النّاس كافر . ومِنَ النّاس مؤمن . وقد تقدّم ذكر الكافر لأنّ جنسه هو الأكثر عددا . وفي ذلك إيماءٌ إلى ضَخامَةِ مسئوليّة الجنس المؤمن في نشر عقيدة التّوحيد . والله تعالى بما نعمل بصيرٌ لا يخفى عليه شيءٌ . والله تعالى الّذي خَلَقَنا هو الّذي خلق

السّماوات والأرض بالحقّ والحكمة ، وهو الّذي صوّرنا فأحسن صورنا ، وهو الّذي سخّر لنا كلّ ما في السّماوات وما في الأرض . وإلى الله تعالى المصيرُ والرّجوعُ بعد الموت .

وعلى الرّغم من كلّ نعم الله تعالى الّتي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ، وعلى الرّغم من إرسال الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وإنزال الكتاب العزيز بلسان عربيّ مبين فإنّ كفّار مكّة يُصِرُّون على كفرهم وعلى إنكار البعث . تخاطبِ السّورة الكريمة أولئك الكافرين وتسألهم في أسلوب الإنكار : ألم يأتكم نبأ الّذين كفروا من قبل كعادٍ وثمود فذاقوا وبال أمرهم ، وعاقبة كفرهم ، ولهم في الآخرة عذابٌ أليمٌ في نار الجحيم. ذلك العذاب في الأولى والآخرة بسبب أنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالآيات البيّنات فقالوا على سبيل الاستعلاء والاستكبار في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ : أبَشَرٌ مِثْلُنا يَهْدُونَنا وكأنّنا ضالّون ! فأصرّوا على كفرهم وعلى تولّيهم وإعراضهم . واستغنى الله تعالى عنهم وعن إيمانهم . والله تعالى غنيٌّ عن خلقه مَحْمُودٌ على كلّ حالٍ مِنْ خَلْقِه .

أَصَرَّ كفّار مكّة على كفرهم وعلى إنكار البعث فزعموا وادّعوا أنّهم لن يُبْعَثُوا بعد الموت . ويأمر الله تعالى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للكافرين : ليس الأمر كما تزعمون . والله تعالى رَبّي الّذي لا إله إلاّ هو لتبعثنّ بعد الموت ثم لتنبؤنّ بما كنتم تعملون ولتحاسبنّ ولتعاقبنّ . إنّ ذلك يسيرٌ على الله تعالى . فآمنوا أيّها النّاس عُمُوماً بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم وبالنّور الّذي أنزلناه على حبيبنا صلّى الله عليه وسلّم ، والّذي تُبَيّنُهُ السُّنَّةُ النّبويّة المطهّرة . والله تعالى بما تعملون خبيرٌ ببواطن الأمور ومن باب الأَحْرَى ظَواهرُها . اذكروا يوم يجمعكم الله تعالى أجمعين ليوم القيامة يوم الجمع للحساب والجزاء . ذلك اليوم يوم يَغْبِنُ المؤمنون الكافرين فيأخذون المنازل الّتي كانت مُخَصَّصَةً لهم

في الجنّة لو أنّهم آمنوا ولكنّهم كفروا ! فدخلوا النّار ووَرِثَهُمُ المؤمنون في الجنّة . ومن يؤمن بالله تعالى ويعمل صالحاً يُكَفِّر الله تعالى عنه سيّئاته ويُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . ذلك الفور العظيم حقّاً . والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك هم أصحاب النّار خالدين فيها أبدا . وبئس المصير جهنّم .

وإنّ مسئوليّتكم أيّها المؤمنون كبيرةٌ تُجاه دين الإسلام الّذي أكمله الله تعالى ورضيه لكم ، وأتمّ به النّعمة عليكم ، وتُجاهَ إخوانكم في الإنسانيّة ، فتبذلوا النّفس والنّفس في سبيل إخراجهم من ظلمات الشّرك والجهل إلى نور التّوحيد والعِلْم . واعلموا أيّها المؤمنون أنّ ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله تعالى وعلمه وإرادته . ومَنْ يؤمن بالله تعالى إيماناً صادقاً يَهْدِ قلبه للإيقان بأنّ ما أصابه إنّما هو بإذن الله تعالى ، وأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فتهون عليه المصيبة ويستسلم لقضاء الله تعالى ، ويذعن لِقَدَرِه . والله تعالى بكلّ شيءٍ عليم . وأنتم أيّها النّاس ، أطيعوا الله تعالى وأطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة . فإن أعرضتم وانصرفتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين فقط . وقد فَعَلَ صلّى الله عليه وسلّم كلّ ذلك. وكذلك فَعَلَ الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم المطلوب منهم فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي سبيل شهادة التّوحيد . إنّه لا إله إلاّ الله تعالى وحده لا شريك له . وعلى الله تعالى وَحْدَه دون سواه فليتوكّل المؤمنون في كلّ شئونهم وبخاصّة في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى .

وأنتم أيّها المؤمنون اعلموا أنّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم أن يثبّطوكم عن الهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى واستباق الخيرات . إنّ الّذي عند الله تعالى خيرٌ وأَبْقَى . وإن تعفوا عنهم وتصفحوا وتغفروا تثبيطهم لكم فإنّ الله تعالى غفورٌ ذنب

من استغفره ، رحيمٌ لمن تاب إليه توبةً نصوحاً وأناب . ما أموالكم ولا أولادكم إلاّ فتنةٌ وبلاءٌ واختبارٌ من الله تعالى لكم . والله تعالى عنده أَجْرٌ عظيمٌ في الآخرة في جنّات النّعيم . فاتّقوا الله تعالى ما استطعتم ، واسمعوا سماع قبول ، وأطيعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنفقوا في سبيل الله تعالى يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم يوم القيامة . ومن يوق شُحَّ نفسه وحِرْصَها على منع الآخرين حقوقهم ، ومن لا يبخس النّاس أشياءهم ولا يأكل أموالهم بالباطل فأولئك هم المفلحون في الآخرة حقّا . إن تقرضوا الله تعالى قَرْضاً حسناً فتنفقوا في سبيله بطيب نفسٍ ورضا خاطر يُضاعِفِ الثّواب لكم ويَغْفِرْ لكم ذنوبك ، والله تعالى شكورٌ للمحسنين ، حليمٌ عن المُقصِّرين . إنّه عزّ وجلّ عالم الغيب والشّهادة العزيز في ملكه الحكيم في صنعه .

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة بِحُجَزِ بعض ، في نظم رفيع ، ونَسَقٍ بديع .

وصلّى الله عليه وسلّم وعلى سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة

مساء يوم الأحد ٢٥/ ١٠/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م .